الأوقاف وإنفاقها على المدارس في مصر في العصر الأيوبي

Endowments and their spending on schools in Egypt in the Ayyubid. Era

د/ جمعان عيد الوندة

دكتوراه في التاريخ

وزارة الشئون -رئيس بيت فتيان السالمية التخصص - تاريخ حديث ومعاصر

Dr. Jamaan Eid Alondh

PhD in history

Ministry of Affairs - Head of Salmiya Boys House Specialization - Modern and Contemporary History

Jamaaneid@gmail.com

الملخص:

شهد العصر الأيوبي في مصر نهضة علمية في شتى المناحي، وكان لابد من تأمين موراد لاستمرار تلك النهضة، ومن هنا كان لنظام الوقف أهمية كبيرة في معظم فترات العهد الأيوبي، حيث مثل العمود الفقري للإنفاق على التعليم، وخصصت الأوقاف في مختلف الأمصار، فأوقفت الأوقاف على كل المدارس العلمية والفقهية وعلى القائمين عليها والتكفل باحتياجاتها، مما كفل لها الاستمرارية في أداء وظيفتها ورسالتها العلمية.

لذلك كان لابد من توفير مورد مستمر للصرف على تلك المدارس لتأدية دورها من المنوط بها، علميًا وسياسيًا؛ لذا سوف نقوم بالتركيز على الأوقاف خاصة باعتبارها المورد الأساسي لتلك المدارس ثم تسليط الضوء على الموارد الأخلى التي انحصرت في أشياء مثل: الهبات والإعانات والصدقات، عطاءات السلاطين والحكام، الأجور الخاصة، الزكاة الشرعية والغنائم.

وفي هذا البحث سوف نتناول على فصلين دور الأوقاف في المدراس والصرف عليها في العصر الأيوبي:

الفصل الأول: المدارس في العصر الأيوبي

أولا: نشأة المدراس العلمية في العصر الأيوبي

ثانيا: مصادر الإنفاق على المدارس العلمية في العصر الأيوبي

ثالثا: "الوقف" على المدارس

الفصل الثاني: صور للمدارس في العصر الأيوبي وعمارتها

اولا: صور المدارس في العصر الأيوبي حيث نستعرض عدد من المدارس في مصر بعصر الأيوبيين ومن قام بإنشائها ومدخولاتها، والمواد العلمية التي يتم التدريس بها، كالمدرسة الناصرية، والمدرسة القمحية، والمدرسة اليازكوجية، ومدرسة منازل العز، ومدرسة العادل، ومدرسة ابن رشيق، والمدرسة القبطية، والمدرسة السيوفية، والمدرسة الفاضيلة، والمدرسة الأزكشية، والمدرسة الفخرية والمدرسة العاشورية، والمدرسة الخروبية وغيرها من المدارس.

ثانيا: العمارة في العصر الأيوبي.. المدارس نموذجا

الكلمات المفتاحية:

الأوقاف, المدارس , العصر الأيوبي

Abstract:

The Ayyubid era in Egypt witnessed a scientific renaissance in various aspects, and it was necessary to secure resources for the continuation of that renaissance, and from here the endowment system was of great importance in most periods of the Ayyubid era, as it represented the backbone of spending on education, and endowments were allocated in various areas, so endowments were allocated to All scientific and jurisprudential schools and those in charge of them and take care of their needs, which ensured for them the continuity in the performance of their function and scientific mission.

Therefore, it was imperative to provide a continuous resource for spending on these schools to fulfill their scientific and political role that is entrusted to them. Therefore, we will focus on endowments, especially as they are the main resource for these schools, and then highlight the other resources that are confined to things such as: gifts, subsidies, and alms, the tenders of the sultans and rulers, special wages, legal zakat and spoils.

Keywords:

Endowments, schools, Ayyubid era

المقدمة:

الوقف لغةً: يطلق على الحبس والكفّ، ويُجمع على أوقاف ووقوف، والوقف في الاصطلاح الشرعي: هو حبس عين المال وتسبيل منفعته؛ طلباً للأجر من الله تعالى، ويُقصد بالعين الشيء الذي يُمكن الانتفاع به مع بقاء أصله، مثل البيوت والأراضي وغيرها، ويقصد بتسبيل المنفعة أي تخصيصها لوجه الله تعالى، أما المنفعة فهي ما ينتج عن الأصل الأجرة والربح وغيرها من المنافع[1]. أي أنها صدقة محرمة لا تباع ولا تشترى، ولا توهب، ولا تورث، ويصرف ريعها إلى جهة من جهات البر . ففي القرآن الكريم قوله تعالى:(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[2] , وفي السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم:(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَعَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[3].

وأيضا الوقف لغةً هو خلاف الجلوس, ويقال وقف بالمكان وقفاً ووقوفاً فهو واقف[4]. وقد اختلف العلماء في تعريف الوقف شرعاً, فعند الحنفية عرف بأنه حبس العين على ملك الواقف, والتصرف بالمنفعة على الفقراء أو على وجه من وجوه الخير[5]، أما عند المالكية فهو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده, ويلزم أن يبقى في ملك معطيه ولو تقديراً[6], وعند الشافعية هو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه, بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود[7], وعند الحنابلة هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة[8], ومن ناحية مشروعية الوقف فقد ذهب إلى لزومه جمهور العلماء[9], ولم ينكر لزومه إلا الأحناف[10].

وبدأ الوقف يلعب دورا جديدا عندما قامت الدزلة الأيوبية[11]، إذ عمل الأيوبيون على استغلال نظام الوقف ومتحصلاته لتدعيم حكمهم السياسي، خاصة محاربة التشيع من جهة، والجهاد الديني من جهة أخرى، ولذلك كان حصيلة معظم أوقافهم على المدارس، وبيوت الصوفيةوفك أسرى المسلميم من أيدي الفرنج.

وعمد السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى حكم مصر إلى وقف أراضي من بيت المال على مختلف المؤسسات الدينية والتعليمية والخيرية، كما يذكر ابن الصفتي[12]: "... صلاح الدين يوسف بن أيوب، فوقف كثيرا من أراضي يت المال على الفقهاء بمدارسه بمصر والشام والقدس، وعلى الصوفية المعروفة بسعيد السعداء، وتابعهما على ذلك بقية الملوك ".

وأنشأ السلطان صلاح الدين المدارس ودور العلم والاهتمام بمختلف الدراسات، مما أدي إلى ازدهار الحياة العلمية، فقد اتخذ الأمراء من المدارس سند وتقوية لنفوذهم السياسي على المستوى الإسلامي ولتقوية وضعهم داخل مصر.([13])

ولعل التقليد في مصر كان سائدًا حيث يقال، إن صلاح الدين الأيوبي قلد مولاه نور الدين شاه في إنشاء المدارس، وأن نور الدين قلد السلاجقة في بناء المدارس، والأمراء والعامة قلدوا صلاح الدين في البناء ثم النساء،

وكان من أهم أسباب إنشاء المدارس عند صلاح الدين:

أ. محاربة العقائد والفكر الفاطمي وتعليم المذهب السني.

ب. إثارة الحماس الديني ضد الفرنجة في الحروب الصليبية.

ت. تقوية نفوذ الأمراء، وإعطاء فكرة طيبة عنهم للعامة.(14)

ث. طلب الأجر من الله، ودعم العلم.

تنوعت المدارس المذهبية في مصر بعهد الأيوبيين، فبعضها شافعي أو حنفي أو حنبلي، أو مالكي، وقد تكون للحديث أو ندرس أكثر من مذهب، وتنوع من قام بإقامة المدارس فبعضًا أنشأها السلطان صلاح الدين أو امرأته أو بعض الأغنياء أو النساء، وكذلك تنوعت مدخولات هذه المدارس، فمنها من أوقف عليها الأوقاف أو تكفل بها فرد أو مجموعة، وقد يديرها منشأها أو يكلف عليها شخص تديرها دور الأحباس وخاصة أوقاف الأمراء الأيوبيين. (15)

المدرسة:

أورد المقريزي في كتابه الخطط والآثار أن: "قال ابن سيد درس الكتاب ويدرسه درسًا ودراسة من ذلك كأنه عاوده حتى إنقاذ لحفظه ووفري بهما وليقولوا درست ودارست ذلكرتهم، وحكي درست أي قرئت"(16)

والمدارس مما حدث عملها بعد الأربعمائة للهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[17]، فبنيت بها المدرسة البيهقية، وبنى بها أيضًا الأمير نصر بن مبكتكين مدرسة، وبنى أخوه السلطان محمود مدرسة، وكان ذلك قرابة عام 420هـ. (18)

وعرفت مصرالمدارس في نهاية العصر الفاطمي في الأسكندرية أولا، ثم في القاهرة[19], ويرجع تاريخ المدارس النظامية في مصر إلى دخول صلاح الدين الأيوبي لها[20]، حيث كان مهتمًا بالعلم وأهله وقد استقطب العلماء وطلاب العلم من العراق وإفريقيا، وقام بإنشاء أول مدرسة لمحاربة المذهب الفاطمي، وهي المدرسة الناصرية بالفساط من الناحية القبلية لجامع عمر بن العاص، وذلك في محرم 566هـ/1170م، وخصصها للشافعية ثم أنشأ المدرسة القمحية ثم المدرسة السيوفية للأحناق، وأوقف عليها الأوقاف.(21). وأنشئت بمصر أربعة وعشرين مدرسة في القاهرة، ومدرستين بالفيوم، ومدرسة واحدة بالأسكندرية[22]. وأنشأ السلطان صلاح الدين لأيوبي عددا من المدارس في مصر ، وهي(23):

1. المدرسة الناصرية:

وهي أول مدرسة قام بإنشائها الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكان حينها وزيرًا للخليفة العاضد الفاطمي ونائبًا عن السلطان نور الدين محمود من مصر، وخصيصت للفقهاء الشافعية وعرفت بعد ذلك بالمدرسة الشرفية، وكان موقعها بجوار الجامع العتيق عام 566هـ/ 1170م وأوقف عليها الصاغة، وكانت بجوارها، وكذلك إحدى قرى الديار المصرية، وأمر بتشييد مدرسة ثانية للشافعية بجوار قبة الإمام الشافعي، وأوقف عليها حماما وفرنا وحوانيت وجزيرة الفيل[24].

2. المدرسة القمحية:

كانت بجوار الجامع العتيق بمصر، بموضع يعرف بدار الغزل، وقيسارية يباع فيها الغزل، قدمها السلطان صلاح الدين، وأنشأ مكانها المدرسة القمحية لفقهاء المالكية، وكان الشروع فيها للنصف من المحرّم سنة ست وستين وخمسمائة وأوقف عليها قيسارية الوارقين، ومبانيها السكنية، وقريتي الحنبوشية والأعلام بإقليم الفيوم[25]، وهي بلدة كانت أغلب محصولها من القمح، ولذلك عرفت أيضًا بالقيسارية، ورتب فيها أربعة من المدرّسين عند كل مدرّس عدّة من الطلبة، وهذه المدرسة أجل

مدرسة للفقهاء المالكية، ويتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح يفرّق فيهم، فلذلك صارت لا تعرف إلّا بالمدرسة القمحية إلى اليوم".

3. مدرسة يازكوج:
هذه المدرسة كانت بسوق الغزل من مدينة مصر، بناها ابن الأرسوقي التاجر العسقلاني وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوقي، مات في مصر 593هـ.

4. مدرسة منازل العز:
هذه المدرسة كانت في دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، وعرفت بمنازل العز، وكانت تشرف على النيل، وأنزل بها بعد زوال الفاطمية الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم اشتراها وحمام الذهب والاسطبل المجاور لها من بيت مال المسلمين 566هـ، واشترى جزيرة مصر التي تعرف بالروضة فلما أراد الخروج للشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها حمام الذهب وما حولها وعمر الاسطبل لفندق عرف بفندق النخلة وأوقفه عليها.

5. مدرسة العادل:
هذه المدرسة كانت بخط الساحل بجوار "الربع العادل" الذي وقفها على المذهب الشافعي وعمرها الملك العادل أبو أيوب أخ السلطان صلاح الدين.

6. مدرسة ابن رشيق:
هذه المدرسة للمالكية وهي بخط حمام الريش من مدينة مصر، وكان الكاتب من طوائف التكرور لما وصلوا لمصر منه بضع وأربعة وستمئة قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين به رشيق مالًا بناها به ودرس بها وعرفت باسمه، وكانوا يبعثون إليه في أغلب السنين المال.

7. المدرسة القطبية:
أقامها الأمير قطب الدين خيرو الهدبائي من 570هـ، وتقع بالقاهرة بداخل ترب الحريري وأوقفها على العلماء الشافعية وهو أحد أمراء صلاح الدين.

8. المدرسة السيوفية:
أنشأها صلاح الدين 572هـ، وأوقفها السلطان وأقر عليها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي، وكلفه بالتدريس بها، ورتب له كل شهر 11 دينارًا، والباقي يصرف على ما يراه لطلبة الحنفية المقررية عنده على قدر طبقاتهم، وجعل النظر للجبتي من بعد لمن له النظر وعرفت بالسيوفية لأن سوق السيوف على بابها ووقف عليها اثنين وثلاثين حانوتًا بخط سويقة أمير الجيش وباب الفتوح وحارة برجوان.

9. المدرسة الفاضلية:
هذه المدرسة بحرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بجوار داره 580هـ، ووقفها على الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للإقراء، وأوقف بها جملة كتب عظيمة في سائر العلوم قيل أنها مائة ألف كتاب ومجلد ذهبت كلها.

المدرسة الأزكشية:
تقع بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين بناها الأمير سيف الدين يازكوج الأسدي مملوك أسد الدين كوه أحد أمراء صلاح الدين، وأوقفها على الفقهاء الحنفية فقط.

10. المدرسة الفخرية:

وهي بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العدامى عمرها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي استادار622هـ.

11. المدرسة العاشورية:

هذه المدرسة كانت بحارة زويلة بالقاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة قيل إنها كانت دار يهودي يكتب لقراقوش اشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة أيازكوج الأسدي وقفتها على الحنفية، وكانت لا تفتح كثيرًا لأنها من زقاق لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم.

12. المدرسة القطبية:

هذه المدرسة بالقاهرة أول حارة زويلة عرفت صاحبتها الست عصمت الدين مؤنسة خاتون ابنة المالك العادل أبي بكر بن أيوب تركت مالًا كثيرًا، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها الفقهاء وقراء ويشتري لها وقف فبنيت هذه المدرسة وجعل بها دروس للشافعية والحنفية.

13. المدرسة الخروبية:

تقع على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين أحمد بن محمد الخروبي (توفي 785هـ)، وبجانبها مكتب سبيل، ووقف عليها أوقاف، وجعل بها مدرسة حديث فقط.

ومن الأوقاف الاستثمارية الكبرى على المدارس: ما قاله ابن تغري (6/ 54):[26]" قال ابن خلكان:" وكان السلطان صلاح الدين لما ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء، فعمر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعي، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن علي رضي الله عنهما بالقاهرة. وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه، ووقف عليها وقفا هائلاً؛ وكذلك وقف على كل مدرسة عمرها وقفاً جيداً، وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية، وأوقف عليها وقفاً جيداً أيضاً وهي بالقاهرة، وبنى المدرسة التي بمصر المعروفة بابن زين التجار للشافعية، ووقف عليها وقفاً جيداً، وبنى بالقصر داخل القاهرة بيمارستاناً، وأوقف له وقفاً جيداً؛ وله بالقدس مدرسة وخانقاه".

كما رأينا مما سبق أن الحركة التعليمية في مصر ازدهرت بعد دخول الأيوبيين لها، حيث أقاموا الكثير من المدارس وسار أمرائهم والكثير من الناس على طريقهم من دعم التعليم وإقامة المدارس وتنوع مدخول هذه المدارس بين العطايا والهبات والتبرعات والصدقات والزكاة والغنائم والأوقاف التي اعتبرت أهم مصدر للمدارس في مصر.

وقد تميزت أوقاف الأمراء الأيوبيين أن بعضها منها ما كان يدار من ديون الحسبة الذي يتولى جمع ريع الوقف والانفاق على المدرسة أو يكلف شخص معين بأخذ الوقف والانفاق منه على المدرسة وطلبة العلم

المدرسة:

أورد المقريزي في كتابه الخطط والآثار أن: "قال ابن سيد درس الكتاب ويدرسه درسًا ودراسة من ذلك كأنه عاوده حتى إنقاذ لحفظه ووفري بهما وليقولوا درست ودارست ذلكرتهم، وحكي درست أي قرئت"[(27)]

والمدارس مما حدث عملها بعد الأربعمائة للهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[28]، فبنيت بها المدرسة البيهقية، وبنى بها أيضًا الأمير نصر بن مبكتكين مدرسة، وبنى أخوه السلطان محمود مدرسة، وكان ذلك قرابة عام 420هـ. [(29)]

ولم تبق من المدارس الأيوبية لآن سوى بقايا ثلاث مدارس هي[30]:

1- تربة ومدرسة السادات الثعالبة خلف قبة الإمام الشافعي (613هـ/1216م – أثر 282).

2- المدرسة الكاملية بشارع المعز(دار الحديث الكاملية) (622هـ/1225م – أثر 428).

3- المدارس الصالحية بشارع المعز بالنحاسين (641-639م/ 1241-1242م أثر 38).

واشتق تخطيط المدرسة سواء في مصر أو سوريا من تخطيط الدور السكنية (كما ذكر كريزويل)[31] والذي استمر مستخدما في الدور الفاطمية كما يتضح في القصر لفاطمي الصغير (قاعة ست الملك) التي شيد عليها بعد ذلك بيمارستان قلاوون بشارع المعز ضمن مجموعته (684-683هـ/1284-1285م – اثر 43). وأن تخطيط المدرسة في مصر اشتق من تخطيط الدور الطولونية في الفسطاط[32].

تربة ومدرسة السادات الثعالبة خلف قبة الإمام الشافعي (613 هـ/1216م – أثر 282)[33]:

الموقع، والمنشئ وتاريخ الإنشاء: (لوحة 1)

تقع هذه المدرسة خلف قبة الإمام الشافعي، وتشرف واجهتها على يمين السالك في شارع سيدي عقبة.

وأنشأها الأمير الكبير فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن موسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري الزينبي، و كان من كبار أمراء مصر في عصر الدولة الأيوبية، والذي شغل وظيفة أمير الحاج عام 591هـ،1199م[34].

ولم يتبق من التربة التي شيدها هذا الأمير التي عرفت باسم ضريح السادات الثعالبة سوي جزءان هامان هما: كتلة المدخل (لوحة 2)،والإيوان المقبي بقبو مدبب الذي يعتبر أقدم إيوان في عمارة مصر الإسلامية.

2- المدرسة الكاملية بشارع المعز (دار الحديث الكاملية) (622هـ/1225م – أثر 428)[35]:

الموقع، والمنشئ وتاريخ الإنشاء: (لوحة 3)

تقع هذه المدرسة بشارع المعز لدين الله الفاطمي، وكان موقعها في الأصل سوقا للرقيق.

أمر بإنشاء هذه المدرسة السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل في سنة 622هـ/ 1225م لتدريس الحديث النبوي الشريف[36]، لأن السلطان لملك الكامل كان مغرما بعلم الحديث وله أجازات فيه[37]، ثم خصصت بعد ذلك لتدريس المذهب الشافعي، لذا سميت بدار الحديث. وأوقف عليها السلطان الملك الكامل الربع المجاور لها على باب الخرنفش، والذي يمتد إلى الدرب المقابل للجامع الأقمر.

وقد أقام الأمير حسن كتخدا شعراوي(أحد أمراء مصر علي عهد الوالي محمد أمين باشا من قبل الدولة العثمانية في الفترة من (1166- 1167هـ) (1752- 1753م) في سنة 1166هـ/ 1752م في العصر العثماني مسجدا على أنقاض الإيوان الجنوبي الشرقي للمدرسة، كما هو مثبت بالنص التأسيسي أعلى باب الدخول الحالي:

لم يتبق من هذه المدرسة الآن إلا بداية قبو الإيوان الجنوبي الشرقي (الضلع الجنوبي الغربي)، والإيوان الشمالي الغربي (لوحة 4)[38].

3- المدارس الصالحية بشارع المعز بالنحاسين (641-639م/ 1241-1242م أثر 38)[39]:

الموقع، المنشئ،وتاريخ الإنشاء: (لوحة 5)

تقع هذه المدارس في شارع المعز لدين الله الفاطمي على يمين الذاهب إلى باب الفتوح بسور القاهرة الشمالي، وكان قديما جزءً من القصر الفاطمي الشرقي الكبير.وأنشأ هذه المدارس السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل آخر سلاطين الأيوبيين سنة 641هـ /1243م [40].

وبدأ السلطان الصالح نجم الدين بهدم موضع هذه المدارس في سنة 639هـ/1241م، وأدخل فيها باب الزهومة (وموقعه قاعة شيخ الحنابلة)، ودك أساس المدارس سنة 640هـ، وفي سنة 641هـ/1242م رتب فيها دروسا أربعة لفقهاءالمذاهب السنية الأربعة[41].

وألحقت زوجته شجر الدر زوجة الصالح نجم الدين أيوب بمدارسه تربة (قبة) (648هـ/1250م – أثر 38)[42] شيدتها بعد وفاته وهو يقاتل الصليبيين بالمنصورة في 15 شعبان سنة 647هـ/ 23نوفمبر 1249م، وأخفت خبر موته، ونقلت جثمانه سر من المنصورة إلى القاهرة، ودفن بأحد قاعات جزيرته بالروضة، وظل بها حتى يوم الجمعة 27رجب سنة 648هـ/1250م، حيث أنتهت شجر الدر من بناء القبة ونقلت الرفاة إليها.

وفي سنة 730هـ/ 1329م أستصدر الأمير جمال الدين آقوش من السلطان المملوكي البحري الناصر محمد أمرًا بإقامة الخطبة داخل المدارس الصالحية، ونصب بها منبرًا بإيوان الشافعية، وعين لها خطيبًا وإمامًا[43].

وتعتبر هذه المدارس أول مدرسة لتدريس المذاهب السنية الأربعة في مصر.ولم تكن تخطيطها صحن أوسط يتعامد عليه أربعة إيوانات، ولكن تخطيطها عبارة عن تكرار المدرسة ذات درقاعة يتعامد عليها إيوانان: المدرسة الأولى وهي الشمالية عن يسار الداخل لكل من المذهب الشافعي والمالكي: والثانية وهي الجنوبية وتقع عن يمين الداخل لكل من المذهب الحنفي والحنبلي.

ولم يتبق من المدارس الصالحية الآن إلا واجهتها الرئيسية (الشمالية الغربية)، والمدرسة الشمالية والتي انهار ايوانها الحنوبي الشرقي في نهاية القرن الماضي، ولم يتبق منها إلا ايوانها الشمالي الغربي (لوحة 6)[44].

الخاتمة

أزدهرت التجارة في العصر الأيوبي حيث كانت مصر مركزا للتجارة العالمية والطريق الأساسي للتجارة في الشرق والغرب مما أنعكس على أزدهار الأنشطة العلمية والثقافية والفكرية.

لقد امتاز هذا العصر بالثراء الذي ساد البلاد والثروة الواسعة التي امتلكها المماليك، وتم تسخيرها في إحياء شعائر الدين، وإقامة المنشآت الدينية والعلمية والتوسع في الوقف عليها.

ولقد حاولنا في هذا البحث بيان كيف كان تمويل المدارس في العصر الأيوبي ومصادر هذا التمويل التي تمثلت الهبات والصدقات وغيرها من الموارد بالإضافة إلى اهم مصدر وهو الوقف التي تمثل في أبهي صوره وهو الوقف على المدارس.

وقد تناولنا بالورقة البحثية عدة جوانب ومنها لماذا كان الاهتمام بإنشاء المدارس في العصر الأيوبي، ونشأتها وتطورها، وتوسعها، من خلال توفير مصادر للإنفاق عليها، ثم تناولنا أبرز المدارس الوقفية ونبذة عنها، وكيف كانت عمارتها وطرازها مميز لتستوعب الحركة العلمية التي سادت في هذا العصر.

لقد اهتم السلاطين الأيوبيين بإنشاء المدارس وتخصيص موارد مالية كبيرة للإنفاق عليها ودعم الحركة العلمية التي سادتت هذا العصر من ثرواتهم الخاصة، والعامة ودفع المرتبات للمعلمين والمتعليمن وتوفير الخدمات الطلابية والإنفاق عليهم بسخاء.

إن ما تميز به العصر الأيوبي من نهضة علمية وثقافية وفكرية لهو فخر لكل مسلم يسعى إلى خدمة دينه ووطنه، ونبراسا يهتدى به في كيفية الاستفادة من التحول التاريخي من فترة المغول وما تبعها من إنهيار على كافة مستويات الجوانب، وما تبع ذلك من فترة الأيوبيين التي شهدت عكس الفترة السابقة من نهضة وعمران وتفوق وحضارة علمية وفكرية وثقافية، وكذلك في كيفية الاهتمام بتلك النهضة من خلال الأوقاف والاهتمام بالجوانب التعليمية.

لوحة (1): واجهة تربة ومدرسة السادات الثعالبة بالإمام الشافعي.

لوحة (2): مدخل تربة ومدرسة السادات الثعالبة.

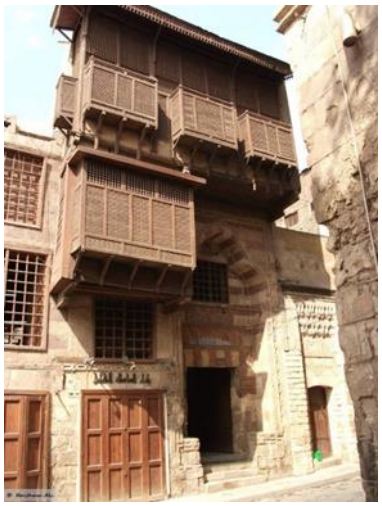

لوحة (3): مدخل المدرسة الكاملية بشارع المعز.

لوحة (4): الإيوان الشمالي الغربي الباقي بالمدرسة الكاملية

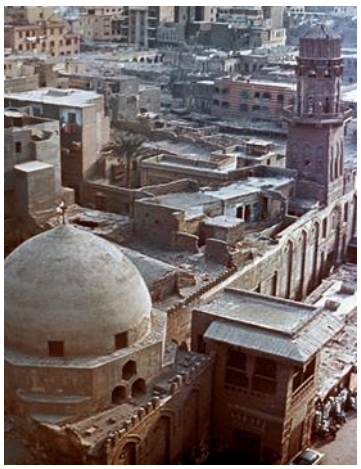

لوحة (5): المدارس الصالحية) وقبة الصالح نجم الدين بالنحاسين.

لوحة (6): الإيوان الشمالي الغربي الباقي بالمدارس الصالحية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

- ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن، (ت 874هـ)، لنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر عدد الأجزاء: 16، د.ت.

-abn taghri , jamal aldiyn 'abu almahasin , (t 874 ha) , linujum alzaahirat fi muluk misr walqahirat , wizarat althaqafat wal'iirshad alqawmii , dar alkutub , misr eadad al'ajza'i: 16 , da.t.

- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد (809 هـ / 1407 م)، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الاميرية الكبرى.
-abn diqmaq , abrahim bin muhamad (809 hi / 1407 mi) , kitab alaintisar liwasitat eaqd al'amsar , almatbaeat alamyriat alkubraa.
- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر 766 – 845هـ، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج4، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 2003.
-almiqriziu taqi aldiyn 'ahmad bin eali bin eabd alqadir 766-845 hu , tahqiq du. 'ayman fuaad sayid , almawaeiz walaietibar fi alkhutat walathar , j 4 , muasasat alfurqan lilturath al'iislamii , landan 2003.
- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، حسن المحاضرة وأخبار المذاكرة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1908م.
-alsuyutii , jalal aldiyn (t 911 ha) , hasan almuhadarat wa'akhbar almudhakarat , matbaeat alsaeadat , alqahirat , 1908 m.

ثانيا: المراجع:

-أمين، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ / 1250-1517م دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، 1400هـ / 1980م
'-amin , muhamad muhamad , al'awqaf walhayat aliajtimaeiat fi misr 648-923hi / 1250-1517m dirasat tarikhiat wathayiqiat , alqahirat , 1400 hi / 1980 m
- حلمي، عباس، المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 3، مكة المكرمة، جامعة أم القرى 1397-1398هـ..
-hilmi , eabaas , almadaris al'iislamiat wadawr aleilm waeimaratuha al'athariat , majalat kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiat , aleadad 3 , makat almukaramat , jamieat 'umi alquraa 1397-1398h..
- رمضان، عبد العظيم، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، البيئة المصرية العامة للكتابة، 1992م.
-ramadan , eabd aleazim , tarikh almadaris fi misr al'iislamiat , albiyat aleamat lilkitabat , 1992 mi.
- عبد العاطي، عبد الغني محمود، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، والمماليك، ط2، دار المعارف.
-eabd aleati , eabd alghani mahmud , altaelim fi misr zaman al'ayuwbiiyn , walmamalik , t 2 , dar almaearifi.
- العمري، العمري.، الطايش، علي، العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، القاهرة 1996م الحارثي، عدنان، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، 1999م
-aleumari , aleumari. , altaayish , eali , aleimarat fi misr al'iislamia (aleasrayn alfatimii wal'ayuwbi) , alqahirat 1996 m alharithi , eadnan , eimran alqahirat wakhutatiha fi eahd salah aldiyn al'ayuwbi , alqahirat , 1999 m
- حمزة، عبد اللطيف، تقديم جابر عصفور، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة العامة للكتاب، سن1999.
-hamzat , eabd allatif , taqdim jabir eusfur , alfikr alfikriat fi misr aleasrayn al'ayuwbii walmamlukiu al'awal , alhayyat aleamat lilkitab , sin 1999.
- ربيع، حسنين محمد، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة، سن1962.
-rabie , hasanayn muhamad , alnuzum almaliat fi misr zaman al'ayuwbiiyn , matbaeat jamieat alqahirat , sin 1962.
- سالم، السيد عبد العزيز، د.، سحر محمد عبد العزيز، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، سنة 1999.
-salim , alsayid eabd aleaziz , dirasat fi tarikh al'ayuwbiiyn walmamalik , muasasat shabab aljamieat , alaiskandariat , sanat 1999.

- سيد، أيمن فؤاد، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ط2، القاهرة 2000م،
-sayid , 'ayman fuad , almadaris fi misr qabl aleasr al'ayuwbii , kitab tarikh almadaris fi misr al'iislamiat , t 2 , alqahirat 2000 m,
- شافعي، فريد، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، جامعة الملك سعود 1402هـ/ 1982م،
-shafiei , farid , aleimarat alearabiat al'iislamiat madiha wahadiruha wamustaqbaluha , jamieat almalik sueud 1402 hi / 1982 m,
- صبرة، عفاف، المدارس في العصر الأيوبي، كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ط2، القاهرة 2000م
-sabrat , eafaaf , almadaris fi aleasr al'ayuwbii , kitab tarikh almadaris fi misr al'iislamiat , t 2 , alqahirat 2000 m
- طقوس، محمد سيد، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة 569-661ه/1174م، 1263، دار النفائس.
-tuqus , muhamad sayid , tarikh al'ayuwbiiyn fi misr wabilad alshaam wa'iiqlim aljazirat 569-661h / 1174 m , 1263 , dar alnafayisi.
- عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، القاهرة 1998م
-eabd alraaziq , aihmad , tarikh wathar misr alaslamiat , alqahirat 1998 m
-عبد المنعم صبحي، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عصر الأيوبيين 531ه، 648هـ، العربي للنشر والتوزيع.
-eabd almuneim subhi , tarikh misr alsiyasii walhadarii min alfath al'iislamii hataa easr al'ayuwbiiyn 531 h , 648 hu , alearabii lilnashr waltawziei.
- فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج2 العصر الأيوبي، القاهرة 1969م
-fikri , 'ahmad , masajid alqahirat wamadarisuha , j 2 aleasr al'ayuwbiu , alqahirat 1969 m
- معهد البحوث والدراسات العربي ، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، ، بغداد، سنة 1983
-maehad waldirasat alearabiat , nadwat muasasat al'awqaf fi alealam alearabii wal'iislamii , baghdad , sanat 1983.
-Cresswell, K.A.C., The Muslim Architecture of Egypt. Vol. 2, Oxford, 1959.

---

[1] – https://almunajjid.com/lectures/lessons/202 بتاريخ 2021/3/15م الساعة 5م.

[2] – القرآن الكريم, سورة آل عمران, الآية 92.

[3] – النووي, أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ /1278م) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج, ط2, ج11, دار إحياء التراث, بيروت1972 ص85 .

[4] – ابن منظور, محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م) لسان العرب, ط3, ج9, دار صادر, بيروت, 1984, ص361.

[5] – المرغيناني، علي بن أبي بكر (ت593هـ /1197م) الهداية شرح بداية المبتدي، ج3, مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د . ت. ص13.

[6] – الحطاب,أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي (ت954هـ /1547م) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل, ط3, ج6, دار الرشاد الحديثة, المغرب1992ص18.

[7] – الشربيني, محمد بن أحمد الخطيب (ت977هـ /1570م) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج, ج2, دار الفكر, بيروت.د.ت. ص376 .

[8] – المرداوي,أبو الحسن علي بن سليمان (ت885هـ /1485م)الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف, ط1, ج7, تحقيق محمد الفقي, دار السنة المحمدية, القاهرة 1957 ص3 .

[9] – الزحيلي, وهبه, الفقه الإسلامي وأدلته, ط3, دار الفكر, دمشق 1989 ص154-156 .

[10] – الشوكاني,محمد بن علي بن عبد الله (1250هـ /1834م) نيل الأوطار, ط1, ج6, تحقيق عصام الدين الصبابطي, دار الحديث, مصر 1993 ص30 .

[11] – ويرجع تاريخ الوقف الإسلامي من بداية دخول الاسلام، ويلاحظ أنه منذ ذلك الوقت وحتى نهاية العصر الأيوبي أقتصر تأثير الوقف على الناحيتين الإجتماعية والإقتصادية من حيث متحصلات الاوقاف أصبحت تقوم بدور الصدقة في مجال التضامن الإجتماعي، فضلا عن نفقات المساجد والجوامع.
أمين، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ / 1250-1517م دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، 1400هـ / 1980م، ص11.

[12] – ابن الصفتي (الشيخ عيسى)، عطية الرحمن في صحة ارصاد الجوامك والأطيان، القاهرة، ص ص 21– 22.

[13]) عبد العاطي، عبد العني محمود، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ط2، دار المعارف، ص115

[14]) حمزة، عبد اللطيف، تقديم جابر عصفور، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص80 – 90.

[15]) ربيع، حسنين محمد، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة، 1964م.

[16]) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، تحقيق د. ايمن فؤاد سيد، المواعظ والاعتبارات من ذكر الخطط وآثاره، ج4، مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن، 2003م.

[17] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، القاهرة 1998م، ص171.

[18]) المقريزي، الخطط،3/ 364.

[19] – الحارثي، عدنان، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، 1999م، ص374.،

سيد، أيمن فؤاد، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ط2، القاهرة 2000م، ص114–126.

[20] – صبرة، عفاف، المدارس في العصر الأيوبي، كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ط2، القاهرة 2000م، ص ص 143–204..

[21]) د.طقوش، محمد سيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، ص112–115

[22] – فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج2 العصر الأيوبي، القاهرة 1969م، ص52.

[23]) المقريزي، المواعظ والاعتبارات في ذكر الخطط وآثاره، حسني محمد ربيع، النظم المالية في عصر الايوبيين، مصدر سابق، ص74، 79، لندن، 2003م.

[24] – المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك ج1، ص63.

[25] – ابن دقماق، ابراهيم بن محمد (809 هـ / 1407 م)، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الاميرية الكبرى، 1893م، ق1، ص94.

[26] – ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن، (ت 874هـ)، لنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر عدد الأجزاء: 16 ، 6/ 54.

[27]) المقريزي، الخطط،3/ 364.

[28] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، القاهرة 1998م، ص 171.

[29]) المقريزي، الخطط،3/ 364.

[30] – العمري، العمري.، الطايش، علي، العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، القاهرة 1996م.، ص113.

[31] – – Cresswell, K.A.C., The Muslim Architecture of Egypt. Vol. 2, Oxford, 1959.

[32] – انظر: حلمي، عباس، المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 3، مكة المكرمة، جامعة أم القرى 1397–1398هـ..

[33] – العمري، العمري.، الطايش، علي ، العمارة في مصر الإسلامية.، ص114.

[34] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، ص 175..

[35] – آمال العمري، علي الطايش، العمارة في مصر الإسلامية.، ص118.

[36] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، ص179..

[37] – فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج2 العصر الأيوبي، ص56–60

[38] – شافعي، فريد، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، جامعة الملك سعود 1402هـ/ 1982م، ص84

[39] – آمال العمري، علي الطايش، العمارة في مصر الإسلامية.، ص123.

[40] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، ص186.

[41] – فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج2 العصر الأيوبي، ص ص 61–74.

[42] – آمال العمري، علي الطايش، العمارة في مصر الإسلامية.، ص170.

[43] – عبد الرازق، احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، 183.

[44] – آمال العمري، علي الطايش، العمارة في مصر الإسلامية. ص ص 127–131.0